

الفصل الأول

تعاريف الشخصية

مقدمة :

يرمى علم النفس العام إلى دراسة ظواهر الحياة العقلية وأنواع السلوك المختلفة . ويتبع في ذلك الطرق والأساليب التي تساعد على معرفة الصفات النفسية التي يصح إرجاعها إلى قواعد أو قوانين عامة ، شأنه في ذلك شأن أى علم من العلوم . ولكن مهما توصلنا إلى كشف تلك الصفات المشتركة ، وخصائص السلوك العامة للعقل ، فإنه لا تزال أمامنا ظاهرة هامة هي : صفة الانفرادية ، تلك الظاهرة التي يتميز بها كل كائن حي عن سواه من الكائنات ، والتي تجعل منه وحدة مستقلة مختلفة عن باقي الأفراد من أبناء جنسه رغم ما يوجد بينهم من تشابه واتفاق . فكل إنسان من حيث كونه ظاهرة وحييدة متميزة لا تتكرر أبداً على طول الزمن ، ومن حيث كونه لا يوجد من يشبهه شبيهاً كاملاً في أى مكان ، يعتبر مهملاً من هذه الناحية ، وبعبارة عن مجال البحث العلمى الذى يجعل مهمته استخلاص القواعد العامة ، والذى

تتضاءل أمامه أهمية تلك الظاهرة الانفرادية الهامة .

وقد أدى إهمال هذه الفردية في علم النفس إلى اتهامه بالتقصير

إذ أنه — كما قلنا — يضع القواعد التي تطبق على العقل والسلوك

بصفة عامة دون أن يأخذ في الاعتبار تلك التفاعيل الدقيقة التي

تميز كل فرد عن غيره تمييزاً تاماً . وقد يوجه هذا الكلام لكل

العلوم التي تنهج هذا النهج في البحث العلمي ، ولكن علم النفس

أكثر تعرضاً لهذا القصور ؛ لأن موضوعه هو الكائن الحي

وخصوصاً الإنسان الذي تظهر فيه ظاهرة الانفرادية بوضوح

وجلاء . وقد فطن لهذه الحقيقة عالم النفس الألماني فونت (Wundt)

مؤسس علم النفس التجريبي ، والذي يعتبر من قادة علم النفس

الفردى أيضاً حيث قال :

« ليس في علم النفس قانون إلا رأينا فيه أن الحالات التي

تشذ عن القانون أكثر عدداً من الحالات التي ينطبق عليها » .

ومن أجل ذلك نجد أن كثيراً من الاتجاهات في علم النفس

قد تركزت في بحث الفروق الفردية ، وأصبحنا نجد لعلم النفس

فروعاً تهتم بها مثل « علم نفس الفروق الفردية » ، و « علم النفس

الفردى » و « علم النفس التحليلي » . كما نجد أيضاً فروعاً تهتم

بالصفات الطائفية وأنواع السلوك المختلفة ، وأنواع الشخصيات

كالفروع التي تهتم بالشوائب ، والتي تهتم بفكرة الشخصية كوحدة

من وحدات الحياة العقلية، وهذا ما يسمى «سيكولوجية الشخصية» .
إذن فدراسة الشخصية يقصد بها الاهتمام بتلك الصفات
الخاصة بكل فرد ، والتي تجعل منه وحدة متميزة مختلفة عن غيره
من حيث العوامل المختلفة التي تفاعلت مع بعضها فأدت إلى هذا
الأسلوب الخاص من السلوك ، وهذا الطابع الذي لا يشترك فيه
اثنان إشتراكاً كاملاً من كل ناحية .

ولما كانت مثل هذه الدراسة لا تتم إلا بتتبع الحالات الفردية
ودراسة كل حالة على حدة ، كان للأبحاث الإكلينيكية في
العيادات السيكولوجية المختلفة أهمية كبرى في دراسة موضوع
الشخصية .

غير أنه لا يمكن لأي باحث أن يحيط علماً بعقلية كل فرد
على حدة ، ولا تزال مهمتنا في البحث هي أن نجتمع بين ميزات
القواعد العامة ، وبين ما يمكن استنتاجه من الحالات الخاصة .

وإذا كان علم النفس العام يرمي إلى دراسة العوامل العامة ،
والصفات المشتركة بوجه عام ، وعلم النفس الفردي يرمي إلى دراسة
الحالات الخاصة من ناحية التفاصيل ، والصفات المميزة الخاصة
بكل حالة على حدة ، فإن (من الممكن أن نجتمع بين الاثنين
بالإلتجاء إلى علم النفس الإحصائي ليساعدنا في تصنيف الصفات

المختلفة ، المشتركة منها والخاصة ، كما في طريقة التحليل العاملية
التي تحاول التصنيف بالوصول إلى :

الصفات العامة ، والصفات الطائفية ، والصفات النوعية .

فالصفات العامة هي التي يشترك فيها الجميع — والصفات

الطائفية هي التي يشترك فيها طائفة من الناس — والصفات النوعية

هي التي لا يشترك فيها أحد . . . والواقع أن الذي يميز شخصية عن

الأخرى هو ما يبالغ ما فيها من كل هذه الصفات .

تعريف الشخصية

قبل أن نحاول دراسة الشخصية ينبغي أن نحاول تحديد

المعنى العلمي لهذه الكلمة وخصوصاً أن استعمالها في الأحاديث

العادية من المرونة بحيث يحتمل أكثر من معنى واحد .

وحين نتبع محاولات علماء النفس لتعريف هذه الكلمة ،

نجد أن كلاً منهم كان ينظر إلى الشخصية من زاوية خاصة .

وسنورد فيما يلي بعض الخطوط التي تطور فيها معنى هذه الكلمة ،

وهي في مجملها تتبع مراحل تطور علم النفس ، وأساليب البحث فيه

الشخصية كظهور خارجي :

الأصل في كلمة (Personality) أنها مشتقة من لفظ لاتيني (Persona) ومعناه القناع ، أو الوجه المستعار ، الذي يظهر به الشخص أمام الغير ، وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحي ، حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرية . ولهذا فإن تعاريف الشخصية قامت في البداية على فكرة التمثيل ، وما يبدو على الفرد من الصفات الظاهرية بصرف النظر عما يخفيه في نفسه من صفات داخلية . ويرتبط بهذه الفكرة ، تعريف الشخصية بالقدرة على التأثير في الغير ، أو الأثر الذي يتركه الشخص فيمن حوله ، وما يرتبط بذلك مما قد يكون لدى الفرد من هيبة ووقار ، وكبرياء ، أو تواضع وخضوع واستسلام .

ولكن هذه التعاريف لا توضح لنا شيئا عن الصفات الداخلية الحقيقية في الشخص . إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عددا من الشخصيات وهي : الشخص كما يراه غيره ، والشخص كما يرى نفسه ، والشخص على حقيقته . وطبيعي أن تعريف الشخصية السابق غير شامل ؛ لأنه يهمل النوعين الأخيرين ويهتم فقط بالشخص كما يراه غيره .

الشخصية كقوة مركزية داخلية :

وعلى النقيض من ذلك تماما نجد فكرة النظر إلى الشخصية من ناحية كونها تركيبا نفسيا معقدا ، غير ممكن تحليله أو فهمه ، أو كونها قوة مركزية داخلية توجه الفرد في حركاته وسكناته ، وطبيعي أن مثل هذه النظرة لا تفيدنا كثيرا ، ولا تقدم ولا تؤخر في فهم طبيعة النفس ؛ إذ أنها تترك باب البحث والدرس مغلقا أمام فهم عناصر الشخصية ومكوناتها .

ويرتبط بذلك أيضا التعريف التي تهتم بفكرة المرء عن نفسه ، وتحليله لما هو عليه ، ومعرفة صفاته النفسية الداخلية ، ويتمشى هذا مع طريقة التأمل الباطني وهي إحدى طرق البحث الهامة في علم النفس — كما كان التعريف السابق متمشيا مع طريقة الملاحظة الخارجية — وهذا النوع من التعريف يعتبر ناقصا كسابقه ؛ إذ أنه يهتم فقط بمظهر واحد من الشخصية ، وهو الشخص كما يرى نفسه .

التعريف الاجتماعي :

وانتقل التعريف خطوة مفيدة عندما اتجه إلى الاهتمام بالإشارة إلى تعامل الفرد مع المجتمع ، فأصبح التعريف يتضمن شعور الفرد بقيمته في المجتمع ، ومبلغ أهميته فيه ومدى معرفة

الفرد لحقوقه وواجباته . وهذه الصبغة الاجتماعية في تعريف الشخصية بجانب فكرة الفرد عن نفسه ، ترتبط بمبلغ حاجة المجتمع إلى الفرد ، وهل هو مطلوب أو يمكن الاستغناء عنه ؟ وهل هو مهم أو لا أثر له ؟ وهكذا .

وقد ظهرت هذه النزعة في تعريف البرت (F. H. Allport) ، وماي (M. A. May) حيث يؤكداً فكرة تعامل الفرد مع المجتمع وقيمه من حيث تأثيره في المجتمع ، وتأثير المجتمع به . وينظرون إلى الفرد كعامل فعال في المجتمع ، وتُقاس شخصيته بمبلغ اشتراكه في نواحي النشاط المختلفة التي تؤدي إلى إحداث التغيير والتطور في هذا المجتمع .

الشخصية كمجموعة من الصفات :

إلى هنا كانت التعاريف في جماتها وصفية عامة وليس لها فائدة إيجابية مباشرة لتوجيه البحث في الشخصية . أما التعاريف القادمة التي تقوم على تحليل الصفات ومحاولة تجميعها فهي التي تاتي الضوء على عناصر الشخصية وتفيدنا من الناحية الدراسية فائدة مباشرة . ومن أمثلة ذلك تعريف مورتن برنس (Morton Prince) الذي يقول إن الشخصية « هي حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والفرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة ، وكذلك

الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة .
وهناك تعاريف كثيرة من هذا النوع تبدأ كلها بفكرة مجموع
أو حاصل جمع الصفات الداخلية والخارجية الموروثة والمكتسبة ،
أو مجموع الصفات العقلية والجسمية والاجتماعية وهكذا .
ولكن هذه التعاريف القائمة على مجرد تعداد الصفات ، والتي
تنظر إلى حاصل جمعها فقط تحل في طبيعتها خطر اعتبار هذه
الصفات وحدات منعزلة بعضها عن البعض ، أو أن كل عنصر منها
وحدة قائمة بذاته . . . ولكن الواقع خلاف ذلك تماما ، فالنظرة
الحديثة لأشخصية تمتد بها وحدة أو تنظيم كلي عام . إذ أن الكائن
الحى أكثر من مجرد مجموع صفاته . . . وكل صفة من صفاته
لا يكون لها معنى إلا في وجود باقى الصفات . والفرق بين
النظرتين يوازي الفرق بين الخلوط والمركب في الكيمياء ؛ فالخلوط
يمكن فصل مكوناته عن بعضها بسهولة ، وصفاته هي مجرد مجموع
صفات العناصر الداخلة في تركيبه . . . بينما المركب الكيميائى ينتج
لنا مادة جديدة لها خصائصها التى تخالف صفات مركباتها بمئاتها
ولهذا استنادت التعاريف الجديدة من هذه الفكرة فأكدت
أهمية التكامل ، ولذا أصبحت تبدأ بكون الشخصية عبارة عن
تكوين عام أو تكامل منتظم لمجموعة صفات . . . أو تركيب كلى .
أو وحدة . . . وهكذا .

التعاريف القائمة على فكرة التكامل والتفاعل الاجتماعي :

ثم أضيف إلى التعاريف ذلك العنصر الاجتماعي الذي يظهر في تكوين الفرد لنفسه في المجتمع وتعامله مع البيئة ومبلغ اندماجه فيها ، ومن أمثلة هذه التعاريف ما قاله كيمف (Kempf) وهو أن « الشخصية هي تكامل مجموعات العادات التي تمثل خصائص الفرد في تعامله مع المجتمع » .

وأخيراً نجد فكرة التميز أو الانفرادية تتخذ مكاناً بارزاً في التعاريف كما في تعريف شن (Schoen) حيث يقول :

« الشخصية هي التكوين المنتظم أو الوحدة العامة الناتجة من العادات والاستعدادات والعواطف التي تميز فرداً عن المجموع وتجعل منه وحدة مختلفة عن باقي وحدات المجموعة التي ينتمي إليها»

التعاريف الوافية للشخصية :

وإذا كانت التعاريف السابقة جميعها حتى الآن تهتم ببعض عناصر التعريف وتهمل البعض الآخر ، فمنها ما يهمل صفة التكوين الاجتماعي ومنها ما يهمل صفة التميز أو الانفرادية ، فإن التعاريف الحديثة التي يؤخذ بها الآن تقوم على جمع الخطوات السابقة والاستفادة من جميع التعاريف بحيث نجدها وافية شاملة .

ومن أمثلة ذلك تعريف أولبرت (G. H. Allport) القائل بأن :

« الشخصية هي التنظيم الديناميكي في نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية النفسية التي تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة » .

وهذا لا يختلف كثيراً عن تعريف بيرت (Burt) القائل بأن :
« الشخصية هي ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية ، الثابتة نسبياً ، التي تتميز خصوصاً للفرد ، وبمقتضاها يتحدد أسلوبه الخاص للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية » . ويتضح من التعريفين السابقين ما يأتي : —

أولاً : أن تعريف « أولبرت » يشير إلى فكرة الديناميكية في الشخصية إشارة على التفاعل المستمر بين عناصرها . . كما أن تعريف « بيرت » يشير إلى فكرة « الثبات نسبياً » أي أهمية عناصر الشخصية التي لا تتغير كثيراً على طول الزمن ، فهذه هي الصفات التي يصح الاستناد عليها في الحكم على الشخصية ، مثل هيئة الجسم والذكاء العام والصفات الموروثة أو المكتسبة التي لها صفة الدوام نسبياً .

ثانياً : كل من التعريفين يؤكد فكرة التكامل وكون الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات ، وإنما وحدة الناتج منها ، فهي أكثر من مجرد حاصل الجمع .

ثالثاً : بعض الصفات الداخلة في تكوين الشخصية بيولوجية

جسدية مثل لون الشعر وقوة الجسم والتركيب الغددي والعضلي . .
وهكذا ، وبعضها صفات عقلية مثل الذكاء والانفعال والمزاج .

رابعاً : لم يهمل التعريفان أهمية البيئة وأثر الصفات في
تكوين الفرد وتفاعلها ، ولذا لا يمكن دراسة الفرد منعزلاً عن
المجموع الذي يحيط به كما يتضح من إشارة « بيرت » إلى أهمية
التكيف نحو البيئة المادية والبيئة الاجتماعية .

خامساً : يظهر في كل من التعريفين فكرة التميز التي تجعل
كل فرد مختلفاً عن غيره بحيث لا يوجد اثنان متشابهان تشابهها
تماماً . وهذا التميز هو في نظر « أولبرت » الأساس الهام لمبنى
الشخصية .

ومن كل ما سبق يمكن أن تدرك ما يأتي :

أولاً : أن الشخصية وحدة ويجب دراستها كتنظيم كلي عام
أو جشتالت (Gestalt) .

ثانياً : أنه إذا جاز لنا تحليل عواملها فإنما يكون ذلك بقصد
التصنيف والدراسة فقط ، على أن نضع في أذهاننا دائماً فكرة
اندماج العناصر وتفاعلها المستمر مع بعضها .

مراجع :

1. G. W. Allport : Personality ; A Psychological Interpretation.
2. L. P. Thorpe : Psychological Foundations of Personality
3. Sir Cyril Burt : The Assessment of Personality :
The Egyptian Journal of
Psychology.
Vol. I. Oct. 1946, No. 2.

(ولهذا البحث ترجمة باللغة العربية بمجلة « علم النفس »

مجلة ٣) .